

الصلات بين الحضارتين الإسلامية و الرومانية (اعتماداً على العلاقات السياسية بين الرشيد و شارلمان)

رمضان رضائي*

يدالله رفيعي**، پرى ناز على اكبرى***

الملخص

أصبحت العلاقة بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية خلال أيام الرشيد عدائية أكثر من ذي قبل. من ناحية أخرى كان التفاهم الذى توّطد بين العباسيين والفرنجية من أهم الاسباب التى حالت بين البيزنطيين وبين مواصلة العدوان بخوفهم من تعاون الطرفين عليهم والذى لم يخفف بوفاة الرشيد؛ بل ظلت أواصره معقودة حتى أوائل عصر المأمون. خلف شارلمان الكبير، أباه ببين القصير على عرش فرنسا، وعلاقته مع القسطنطينية غير حسنة على ما كانت عليه فى عهد والده. وأراد البابا أن يستفيد من قوة شارلمان. ولذا رغب البابا فى تتويج شارلمان فدهنه بالزيت المقدس وألبسه تاج الإمبراطورية فى أواخر القرن الثامن. وكان شارلمان مضطراً للحفاظ على علاقات دبلوماسية مع بغداد، إذ كان لهما عدو مشترك وهو الدولة الأموية فى الأندلس. فشارلمان لم يتقرب إلى الرشيد ولم يجب هذا طلبه وبيادله الصداقة و المودة إلّا إذا إقتضت مصالحهما السياسية. هذه الأمور وعوامل أخرى ساعدت على استئناف الصلات بين الخليفة هارون الرشيد وشارلمان الكبير.

الكلمات الرئيسية: الإسلام، الرومان، هارون الرشيد، شارلمان، العلاقات السياسية.

* أستاذ مساعد، فى أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية (المسؤول عن المقالة) dr_rezaei@yahoo.com

** أستاذ مساعد، فى أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية rafiei_y20@yahoo.com

*** طالبة الدكتوراه و مدرّسة، فى مركز مواهب العالية للبنات فى بناب P.aliakbari@chmail.ir

تاريخ الوصول: ١٣٩١/١٢/١٢، تاريخ القبول: ١٣٩٢/١/١٨

١. المقدمة

إنَّ العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين قديمة، ترجع إلى عصر الرسول (ص) كما فى سرية موتة وغزوة تبوك، وفى عصر الراشدين تمكَّن الخليفة الثانى «عمر بن الخطاب» أن يفتح بلاد الروم ويستردَّ بيت المقدس من أيديهم، ومن وقتها زادت حدَّة التوتر بين المسلمين والروم، وغلب عليها الطابع العدائى؛ نظراً لإختلاف الديانة، ولأهمية مدينة بيت المقدس وكنيسة القيامة التى يحجُّون إليها، إضافة إلى الحدود المتشابكة بين الطرفين والغارات المتواصلة، وعليه فقد أصبحت الحرب بين المسلمين والبيزنطيين فى العصر العباسى لاتعدو تبادل الغارات، وما يصحب ذلك من تدمير وتخريب وقتل وسبى، ولم تنقطع غزوات المسلمين عن بلاد البيزنطيين فى عهد «هارون الرشيد». واستمرت هذه الحالة بين المسلمين والبيزنطيين حتى نهاية عصر العباسى. وكان النفوذ البيزنطى قابلاً فى شمال الشام بعد تأسيس العباسيين دولتهم فى العراق سنة ١٣٢ هـ/ ٧٤٨ م. حيث تحصن الروم فى مواقع حصينة فى جبال طوروس وآسيا الصغرى وبحر مرمرة (أحمد محمود، ١٩٨٠: ١٥٥).

وأخذوا يطلُّون من جبال طوروس على المسلمين ساعات الضعف أو الانشغال ويتراجعون إليها فى ساعة القوة، وبداية انتهز الإمبراطور «قسطنطين الخامس كوروليموس» (٧٤١-٧٧٥ م) فرصة انشغال العباسيين بأحداث إقامة دولتهم والتمكّن لأنفسهم ومواجهة المشاكل المركزية والإقليمية وأغار فى سنة ١٣٣ هـ/ ٧٥٠ م على منطقة الحدود بين المسلمين والروم وأتى على جهود المسلمين فى التحصين، ودمر خطَّ حصون الفرات؛ ثم الخطَّ الممتد من نهر الفرات إلى البحر الأبيض المتوسط، وهدد النظام الثغرى كلاً تهديداً خطيراً فحاصر «ملطية» واستسلم أهلها له، ولذلك اهتم «أبو جعفر المنصور» (١٣٧-١٥٨ هـ) بتحسين الحدود (البلاذرى، ١٤٠٣: ١٩١). وتابع «المهدى» (١٥٨-١٦٩ هـ) السير على درب أبيه فى بناء الحصون، وحشد الجند ومحاولة تأمين حدود الشام من غارات البيزنطيين. فتصدى للإمبراطور البيزنطى «ليو الرابع» (٧٧٥-٧٨٠ م) وأرسل عدة حملات منها حملة بقيادة «الحسن بن قحطبة» سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٧ م الذى دخل بلاد الروم، وثقلت وطأته على أهلها حتى صوروه فى كنائسهم (البلاذرى، ١٤٠٣: ١٩٤).

ولقد أثمرت إستراتيجية المنصور وابنه المهدي فى شمال الشام، وأصبحت مدنه حصناً منيعاً للقوات الإسلامية يهاجمون منه القوات البيزنطية التى لا تفتأ فى الإغارة على المسلمين من حين لآخر، وكانت سنة حميدة طبَّقها من جاء بعدهم من خلفاء بنى العباس حتى إذا اكتملت وأصبحت درعاً يقى المسلمين من أخطار أعدائهم.

حتى وصل الدور إلى «الرشيد» سنة ١٧٠ هـ فقد أطلع نفسه على خطر البيزنطيين على المسلمين، ورأى أن خطرهم سيبقى قائماً طالما بقيت الحدود مفتوحة بين الجانبين؛ لذا عول على إتمام ما بدأه أسلافه، فأنشأ التحصينات على المناطق المخوفة، لتكون جميعاً بمثابة الحصن الحصين الذي يحمي دار الإسلام من ناحية وليتخذوها قواعد لهم يشنون منها حملاتهم على أراضي الدولة البيزنطية من جهة أخرى (عبدالعزیز فرج، ١٩٨٢: ١٦٤).

وكانت العلاقة بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية خلال أيام الرشيد عدائية متواترة، إلا ما تخللها من بعض المهادنات، فبعد أن استكمل الرشيد تحصينات الثغور المتاخمة للبيزنطيين، وأقام منطقة العواصم؛ وواصل سياسة آباءه وأجداده وشن الحملات على أرض الروم، وأظهر القادة المسلمون وفي مقدمتهم الخليفة هارون الرشيد صوراً من البطولة والشجاعة جعلت الروم ينهزمون أمامهم مرات عديدة، فأمن المسلمون ثغورهم وباغتوا عدوهم في داخل أرضه.

كان التفاهم الذي توطد بين العباسيين والفرنجة من أهم الأسباب التي حالت بين البيزنطيين وبين مواصلة العدوان بخوفهم من تعاون الطرفين عليهم والذي لم يخفف بوفاة الرشيد، بل ظلت أواصره معقودة حتى أوائل عصر «المأمون»، وحين نقرأ أن آخر السفارات التي وصلت إلى البلاط العباسي كانت سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م (لويس، ١٩٦٠: ١٩٨). وقد أشارت المصادر بأن التفاهم بين الجانبين العباسي والفرنجي استمر بعد الرشيد مدة طويلة. والسؤال الأساسي الذي تطرحه هذه المقالة هو أنه: هل كانت بين الغرب والشرق علاقات سياسية؟ وأهمية هذا السؤال الخطيرة في علاقات أوروبا وآسيا في تلك القرون الماضية وأيضاً له أهمية في تاريخ النصرانية والإسلام. الإجابة عن هذا السؤال يبين لنا أهمية الحوار بين الحضارات الهامة القديمة، مثلاً بين الإسلام والرومان وأهميته لدى الشعوب المختلفة خاصة بين الغرب والشرق.

٢. خلفية البحث

عندما طرحت مسألة الحوار بين الحضارات و الثقافات من قبل المنظمة التابعة للأمم المتحدة «يونسكو» خطر الى البال كيفية هذا الحوار بين الحضارات الهامة القديمة مثلاً بين الإسلام والرومان. دراسة المصادر اللاتينية الموجودة في هذا المجال تبين لنا الإضطراب والغموض في هذا المجال. «أما المصادر الشرقية، الإسلامية والمسيحية تخلو من الإشارة إلى أية صلة بين الرشيد وشارلمان» (الدوري، ٢٠٠٦: ١٥١). وأما المصادر اللاتينية التي عالجت هذا الموضوع هي: ١. كتاب سيرة شارلمان لآينهارد، ترجم «عادل زيتون» هذا الكتاب من اللاتينية إلى العربية وقدم له وعلق عليه وطبع سنة ١٩٨٩ في دمشق. يشير هذا الكتاب إلى علاقات سياسية بين

الأميرين ودرس مسألة السفارة بينهما بالتفصيل؛ ٢. الأخبار الملكية و رواية الراهب سنت كحول وقد إعتبر بعض الباحثين كتاب الأخبار الملكية من باب الأساطير. وأشار هذا الكتاب ايضاً إلى وجود علاقات بين الرشيد وشارلمان. أما في المصادر العربية القديمة فلا توجد أية إشارة إلى هذه الصلات؛ ولكن أشارت بعض المصادر الجديدة إلى جوانب من هذه الصلات ومنها: «الإمبراطوريتان البيزنطية و الرومانية الغربية زمن شارلمان» لعفاف سيد صبره التي طبعت سنة ١٩٨٢ والمقالة التي ألفها «زهدي الدايه» تحت عنوان «هارون الرشيد وشارلمان» وعالجت هذا الموضوع في ثلاث صفحات فقط واخيراً مقالة «وسام عبدالعزيز فرج» تحت عنوان «دراسات في تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية» أشارت إلى وجود العلاقات بين الحضارتين.

١.٢ هارون الرشيد و تاريخ حياته

تولى هارون الرشيد الخلافة في ١٤ ربيع الاول سنة ١٧٠ هـ وهو أوسع الخلفاء العباسيين شهرة وأعظمهم رونقاً وأشدّهم في الخيال تأثيراً فقد امتزجت في أخباره حقائق التاريخ بروعة الخيال ومبالغة الأفاصيص فأصبح رمز العصر الذهبي في الاسلام، واكتسى بمجموعة من الصفات البعيدة الاختلاف والتي يندر أن تجتمع في شخص واحد. فهو يصور حيناً الخليفة الباذخ المسرف في الترف، و يصور حيناً آخر الخليفة المحارب القوى الفعال الذي أذل أعداء الاسلام وفرض الجزية على الروم. وهو يظهر بمظهر الخليفة الحذر الذي يبث شبكة من الجواسيس ليعرف أمور الناس وأحوالهم ولا يكتفى بذلك؛ بل يطوف الأسواق ويزور المجالس متكرراً ليعرف بنفسه ما يدور (ابو خليل، ١٩٩٩: ١٥-٢٤).

وبعد هذا فهو (الرشيد) سياسى ماهر، فيه حزم المنصور وعنفه وأساليبه، مع مرونة وسخاء بالمال لاصطفاء الناس. ثم نراه صديق العلماء والشعراء يقربهم ويكرمهم، ويشجع حركة الترجمة بسخاء عظيم. فالطبرى يطنب في وصف تدين الرشيد، ثم يذكر أنه «كان يقتفى آثار المنصور إلا في بذل المال فإنه لم ير خليفة قطّ قبله أعطى منه للمال» (الطبرى، د.ت: ١٠/١١٣) وفي عهده تقدمت الحضارة والعلوم. وتوفى في جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ.

٢.٢ شارلمان و تاريخ حياته

ولد شارلمان سنة ٧٤٢ في قصر «أنجيلهيم» قرب «ميانس (منز)» من أعمال «جرمانيا» وتربى كما كان يتربى أولاد الملوك في تلك الأيام. رباه أساتذة من علماء «الأكليروس» وتمرن على الصيد وركوب الخيل ونحو ذلك وكان عوناً لأبيه في حروبه بإيطاليا. وثار مقاطعة اكويتانيا مرة،

فعهد إليه بإخماد ثورتها ففعل وظهرت عليه مواهب رجال الحرب والسياسة من ذلك الحين. وكان له أخ اسمه «كارلمان» على اسم عمه، فلما توفي «ببين» سنة ٧٦٨ م انقسمت مملكة فرنسا فيما بينهما على ما اقتضته عادة تلك الأجيال، فكان نصيب شارلمان من القسمة مقاطعات نوستريا وبورغونيا واكويتانيا؛ ثم توفي كارلمان سنة ٧٧١ م فأفضى الأمر كله إلى شارلمان. فلما استقل بالملك بادر نفسه إلى توسعة مملكته ونشر نفوذه وتأيد سلطانه وكانت المملكة الرومانية قد انقسمت إلى المملكتين الشرقية والغربية وعاصمة الأولى القسطنطينية وعاصمة الثانية، رومية. ولكن الغربية سقطت في أواسط القرن السادس للميلاد فانضمت بقاياها إلى المملكة الرومانية الشرقية الأرومية فإنها استقلت تحت سلطة البابوات (بلا اسم، ١٣١٥: ٤٠٢).

أما الشرق فكان قد ظهر فيه الإسلام وامتدت سلطة العرب إلى أقاصى الأرض؛ مشرقها ومغربها على عهد الخلفاء العباسيين في بغداد والامويين في الأندلس باسبانيا وهو عصر العرب المسلمين أو التمدن الاسلامي وكانت سلطة شارلمان إذ ذاك محصورة في نحو ما هو مملكة فرنسا الآن فأخذ في توسعتها.

وفي سنة ٧٩٥ م توفي البابا «أديان» فخلفه «ليو الثالث» فأرسل إلى شارلمان العلم الروماني وطلب إليه أن يرسل مندوباً يأخذ له البيعة على الشعب الروماني ويدل ذلك على إعراف البابوات بسلطة شارلمان على المملكة الغربية وفي سنة ٧٩٩ م شكوا أقارب البابا السابق من ليو الثالث واتقوا عليه في بعض الشوارع فاهانوه وضربوه ثم أوتقوه وحجروا عليه في دير ولكنه نجا وفر إلى شارلمان فاستقبله بترحاب عظيم وأعادته إلى روما معزراً مكرماً. وفي سنة ٨٠٤ م عاد السكسونيون إلى العصيان ولكنهم اضطروا إلى الخضوع التام فنقلت عشرة آلاف عائلة منهم إلى فرنسا ولم تقم لهم قائمة من ذلك الحين بعد أن جاهدوا في سبيل استقلالهم ٣٢ سنة (سيد صبره، ١٩٨٢: ٥٤-٥٧).

ثم ثار النورمانديون في شمالي فرنسا ولكنهم ما لبثوا أن سمعوا بقدم شارلمان حتى عادوا القهقري فلما سمع شارلمان برجوعهم بكى فستل عن سبب بكائه فقال إنه يبكي على ما سينال أوروبا من هجمات هؤلاء النورمانديين بعد مماته (بلا اسم، ١٣١٥: ٤٠٦). وقضى شارلمان بقية حياته عاملاً على إصلاح بلاده وله الفضل الأكبر في نشر النصرانية في أوروبا وإحياء معالم العلم في تلك الأجيال المظلمة هناك.

٣.٢ الخلافة العباسية و الدولة الفرنسية

«كانت العلاقات بين الروم وبين المسلمين مستمرة من أيام بنى أمية إما صلح أو مهادنة أو مفاداة.

وقد حاصر الامويون القسطنطينية غير مرة ولم يفتحوها ولكنهم فتحوا بلاد أخرى من أوروبا وأوقعوا الرعب في دول الإفرنج وكذلك بنو العباس؛ فإن الرشيد أخذ الجزية من «إيريني» صاحبة القسطنطينية» (الدورى، ٢٠٠٦: ١٥٢). وقد كانت هدايا ملوك الروم إلى دار الخلافة متواصلة وأكثرها من السيوف والثياب والأطياب والذهب وغيرها. وكانت الحال هكذا مع الإفرنجة في أيام الرشيد ومن بعده.

أما الأسباب وملوك الإفرنج فكانت الصلات أكثر وثوقاً بينهم وبين ملوك الإسلام وعلى الأخص في الأندلس لأن قياصرة القسطنطينية كانوا يتقربون من الخلفاء الامويين في قرطبة ليستنصروهم على العباسيين أعداء الجانيبين. حتى أن «ثيوفيلوس» ملك الروم المعاصر لعبد الرحمان الاوسط هاداه ٢٢٥ هـ وكتب إليه يرغبه في ملك المشرق من أجل ما ضيق عليه به «المأمون» و «المعتصم». وقس على ما تقدم صلات ملوك أوروبا بسائر خلفاء المسلمين وملوكهم فكانت هدايا قيصر القسطنطينية ترد على صاحب مصر ولاسيما في زمن الفاطميين بعد أن ضخمت دولتهم. منها هدية بعث بها الإمبراطور «قسطنطين التاسع» إلى «المستنصر بالله الفاطمي» سنة ٤٣٧ هـ اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطاراً من الذهب الاحمر كل قنطار في عشرة آلاف دينار. وذكر المقرئ أن رسول الروم كان إذا قدم القاهرة نزل عند باب الفتوح ولا يزال على الارض وهو ماش حتى يصل القصر الكبير مقر الخليفة (المقرئ، ٢٠٠٢: ٢/١٠٧).

ويذكر المؤرخون الأوروبيون أنه خرجت بعثات سياسية من بلاد الفرنجة وقصدت مدينة بغداد كما أن الخلافة العباسية أرسلت وفوداً إلى فرنسا. وجرت تلك العلاقات الودية بين الشرق والغرب في أواخر القرن الثامن للميلاد وفي أوائل القرن التاسع وأول وفد أتى من فرنسا إلى العراق أرسله بين القصر سنة ٧٦٢ م أو سنة ١٤٦-١٤٧ هجرية. وقبيل ذلك التاريخ كان المنصور قد أنجز عمارة بغداد وجملها حتى أصبحت عروس الشرق وجنة الأرض وغرة البلاد. فشرعت تفد إليه (المنصور) الوفود من الروم والفرنسيس. لم يسهب المدنيون الفرنسيون في أخبار تلك البعثة وغايتها السياسية بل جل ما ذكر عنها في صحف ذلك العهد أن رحلة السفراء دامت ثلاث سنوات وقد توسطوا في مبادلة الهدايا الجليلة بين الملكين على أن العرب أغفلوا ذكر هذه البعثة السياسية في مدوناتهم. أو أننا لم نقف عليه في ما لدينا من كتب القوم المطبوعة والمخطوطة. مع أن مؤرخينا لم يضربوا صفحاً عن ذكر لطريق الروم الذي زار حاضرة العباسيين في تلك السنة عينها أي سنة ١٤٦ هـ بل استوعبوا أخبارها وأحاطوا بأطرافها ووصفوا وصفاً دقيقاً زيارة ذلك الوفد وما لاقاه في مدينة السلام. فإن صحّ خبر الوفدين؛ وفد الروم ووفد الفرنسيين. فلا يبعد أنهما تبادلا السلام في قبة الإسلام، وتصافحا مصافحة الأخدان في وادي

دجلة ولم يكن بين القصير آخر من سعى إلى خطب ودّ العباسيين من بني قومه بل حدا حدوه شارلمان فأرسل بعثة إلى العراق سنة ٧٩٧ م مؤلفة من ثلاثة رجال؛ جاؤوا بغداد في عهد هارون الرشيد وكان بينهم إسحق اليهودي (غنيمة، ١٣٣٩: ٥١٠).

وقد أسرع هارون الرشيد وأخبر شارلمان بتلك الهبات بوفد خاص أنفذه إليه بوساطة بطيرك اورشليم وكان مؤلفاً من راهبين الواحد من دير مارسابا والآخر من جبل الزيتون وكان معهما القس «زكريا» الذي كان مرسلًا من لدن البابا إلى البطيرك في هذه المهمة عينها. وصلت هذه البعثة إلى رومة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ٨٠٠ م وكان الملك يومئذ هناك فسلمت إليه باحتفال شائق مفاتيح القبر المقدس وعلم مدينة اورشليم وذخائر قيّمة. وكان لنجاح هذه السياسة الباهرة صدى استحسان في الأندية السياسية والمحافل الدينية في أوروبا. ويذهب بعض الكتبة إلى أن الباب الأون الثالث لم يسمح لشارلمان أن يكون إمبراطوراً على الغرب في ٢٥ كانون الأوّل (دسمبر) من تلك السنة إلا لنجاحه في الشرق. وفي سنة ٨٠١ م بعث هارون الرشيد رسلاً إلى إمبراطور الغرب فالتقوا عصا ترحالهم في مدينة بيزا وقابلهم شارلمان في موضع بين ايفرا وفرسيل ومما لا مرية فيه أنهم قدموا إليه النص المؤيد رسمياً حقّ حمايته الأرض المقدسة. فاستنشدتهم أخبار وفده الذي كان قد أرسله إلى الشرق سنة ٧٩٧ ولم يرجع إليه فاخبروه بما كانوا يعلمون (غنيمة، ١٣٣٩: ٥١١).

أما ما كان من أمر رسل شارلمان الذين أوفدهم بادية بدء إلى العراق وسأل عنهم فإن اثنين منهم لقبوا حتفهما في بلاد الغربية ولم يرجع إليه الثالث وهو «إسحق اليهودي» إلا في سنة ٨٠٢ م. وكان معه هدايا نفيسة أتى بها من هارون الرشيد وبينها فيل عجيب أضحى أهدوته ذلك العصر والمصر. ويروى التاريخ أن في سنة ٨٠٢ استأنف شارلمان أمر الوفود إلى خليفة المسلمين وأنفذ جماعة برئاسة «راتيرت». وقابله هارون الرشيد بوفد ثانٍ ومعه هدايا نفيسة وذلك في سنة ٨٠٧ وكان رسول الخليفة عبدالله وبرفقته مندوبان من قبل بطيرك اورشليم ومعه ساعة عجيبة وخيام من كتان متضاربة الألوان.

٤.٢ هارون الرشيد و شارلمان

من المشهور في بعض كتب التاريخ أن الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان كانا يرتبطان بعلاقات سياسية، وكانت بينهما صلة ودية جعلتهما يتبادلان الهدايا والرسائل ويجامل أحدهما الآخر في كثير من الأحوال، حتى قيل إن هارون الرشيد سلم مفاتيح كنيسة القيامة لشارلمان، وأنه قد سمح له بحماية بيت المقدس مما جعل لشارلمان الحق في أن يلقب باسم «حامي الأراضي المقدسة» إلى غير ذلك مما يزعمه الزاعمون، ويروونه عن العلاقات بين دينك

الملكين. ولكن الكتب التاريخية العربية كآثار الطبرى وابن الأثير وأبو الفداء وابن خلدون وابن خلكان والمسعودى والسيوطى خالية من أى إشارة إلى العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان. من الباحثين من يعتقدون أن هنالك علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان، ومن ينكرون وجود أية علاقات بينهما وهم يعتقدون أن هذه العلاقات التى نسبت إليهما ليست إلا خرافات اخترعتها عقول الرهبان والمؤرخين فى القرون الوسطى تعظيماً لشارمان.

أما الذين ينكرون وجود أية علاقة بين الرشيد وشارلمان؛ فيقولون إن كتب حياة شارلمان لآينهارد والأخبار الملكية ورواية الراهب سنت جول تعتبر من المصادر اللاتينية التى تنفرد بذلك وإن ذكر العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان كانت لعدم فهم هؤلاء الكتاب فهماً علمياً صحيحاً. وقد ذكر كتاب حياة شارلمان تسع بعثات بين شارلمان وبطريك القدس. ولكن هذا لا يستنتج منه أنه كانت هناك علاقات بين هذين الملكين وقد تدرجت هذه الاسطورة حتى لعبت دوراً مهماً فى تاريخ القرون الوسطى وأصبحت فيما بعد حقيقة تاريخية مثبتة إقتبسها المؤرخون وبنوا عليها القصور العالية فى الهواء. و«أول من ذكر العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان هو القديس «جول» وهذا إختراع قصة الهدايا التى تبودلت بين هارون الرشيد وشارلمان كالفيل ابوالعباس والأسد التوحيدى وهدايا شرقية أخرى. وزعم هذا الزعم سنة ٩٢٥ م أى بعد موت شارلمان بمائة وإحدى عشرة سنة. وإعتمد فى ذلك على كتاب «حياة شارلمان» لآينهارد وعلاوة على ذلك جعل شارلمان حامى الأراضى المقدسة، ولعل القديس جول أساء فهم ما كتبه آينهارد» (الدورى، ٢٠٠٦: ١٥٢-١٥٦).

وقد كتب الراهب «رشنو» بعد القديس جول يثبت ما كتبه جول وزاد عليه قصة أخرى. وهى أن أحد أمراء الشرق توجه إلى أوروبا يحمل شظايا من الصليب المقدس والكأس التى شرب منها السيد المسيح ليهديهما لشارلمان. فعل ذلك لأن شارلمان هذا كان حامياً للأراضى المقدسة. ولكن قبل وصوله إلى مقر شارلمان مات فى جزيرة كريت وأرسل ما معه (أى شظايا الصليب والكأس) مع رسول آخر. وغاية الراهب رشنو هى اشتهاار صومعته «اليت» تحتوى على شظايا من الصليب والكأس المقدمة. وفى سنة ٨٦٩ م. كتب الراهب بنوا أعجب من ذلك كله، فقد زعم أن شارلمان زار القبر المقدس ووهب لهارون الرشيد الأراضى المقدسة وجعله حامياً لها. ولم يمض على هذه القصص قرنان حتى أصبحت حقائق تاريخية لا غبار عليها (الدايه، ١٣٥٠: ٩٦٨).

أما الذين يعتقدون أن الصلات السياسية كانت موجودة بين هذين الاميرين فيستندون إلى العوامل التى دعت إلى إنشاء العلاقات وهى أنه فى سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) استولت الجيوش المسوودة على جيوش الدولة الاموية، وخلفتها الدولة العباسية، وكانت أعظم دولة فى الشرق. ورت

العباسيون عن الأمويين الحروب المستمرة مع البيزنطيين، الذين كانوا ينافسونهم في الشرق، وصارت لهم غزوات متتالية في كل سنة تسمى بالصوائف. وكانت لهم الثغور المحكمة المشحونة بالجيوش والعدد، للدفاع عن بلاد الإسلام. ويرابط في الثغور المتطوعون، وبعضهم ممن أوقفوا أنفسهم للدفاع عن البلاد الإسلامية، خاصة وإن المرابطة في هذه الثغور من أهم الأمور التي تقرب العبد من الله تعالى.

وصار للثغور والعواصم إدارة مستقلة، يتولاها أهم القادة الذين لهم إطلاع واسع في الحرب. واستمرت الحروب بين العباسيين والروم، فكل خليفة غزوات وزحوف إلى بلاد الإناضول، ولا ننسى ما فعله هارون الرشيد بمدينة هرقل، وزحف المعتصم على عمورية، وفتكته بالروم. أما في الغرب؛ فبعد قيام دولة العباسيين بسنتين (٧٥٢ م) ثار بين القصير، حاجب الملك «شلدريك الميرفنجي» بوجه الدولة، لما شاهده من ضعفها، واستفتى البابا فيمن يجب أن يتولى الملك: «هل يكون حامل لقب بلا قوة؟ أو صاحب قوة بلا لقب؟» (الديوه جي، ١٣٨٤: ١٢٦).

وكان البابا يرغب بقيام دولة قوية في الغرب، تكون سنداً له في مقاومة القسطنطينية التي لا تعترف به. فأجاب البابا: «أن صاحب القوة هو الذي يستحق اللقب والملك» وهكذا انتقل الملك في فرنسا إلى الأسرة الكارولوفنجية، ولم تكن علاقتها مع القسطنطينية حسنة، وحاول بين (هو أبو شارلمان) أن يسوى العلاقة بينهما. ولكن مطالب البابا، الإعراف بكنيسته البابوية، واحترام الصور الدينية، الخ. عرقلت الأمر وباء بالفشل (المصدر نفسه: ١٢٧).

وفي سنة ٧٧٨ م / ١٦٢ هـ تجاوز شارلمان بعساكره جبال البيرينة فضبط ولاية نافار وولاية قطلونيا وتقدم على ضفاف نهر ايبير حتى بلغ مدينة سرقسطة مركز ولاية اراغون وألقى الحصار عليها وكانت بيد المسلمين فبعث إليه «عبدالرحمن الأول الأموي» الملقب بالعدل بجيش منظم، طرد به عساكر شارلمان وأرجعها إلى ما وراء البيرينة. ثم دامت هذه الحروب طويلاً بين عرب إسبانيا وجند شارلمان إلا أن الأفرنج لم ينالوا من ورائها ربحاً كبيراً في تلك الجهات. وأما شارلمان لم يتمكن من إسبانيا ولكن حكمه كان نافذاً في عموم أوروبا الغربية وكان البابا وجميع الكليروس يميلون إليه ويرغبون في إعادة نفوذ إمبراطورية الرومان الغربية ليضاهوا بذلك الإمبراطورية الشرقية القائم بها قياصرة الروم وليحصلوا على النفوذ الذي حصل عليه بطارقة القسطنطينية وكهنتها، ولذلك رغب البابا في تنويع شارلمان فدهنه بالزيت المقدس وألبسه تاج الإمبراطورية في أواخر القرن الثامن أي سنة ٨٠٠ للميلاد (إينهارد، ١٩٨٩: ١٤).

أما في الأندلس فقد فرَّ عبد الرحمن الداخل إليها، وأسس فيها الدولة الأموية، وقضى على المنازعات الداخلية، وصار هو رئيس دولة مرهوبة الجانب.

وكانت بين المنصور و«الفرنك» صلات آنذاك وكان وصول الوفد إليه بعد الحملة التي شنّها المنصور على الاندلس، (عبدالله عنان، ١٩٦٠: ٤/١٦٦-١٧٦). ولربّما أراد ببين أن يشعر المنصور بقوته، وأنّه يعاضده فيما يريد، خاصة وأنّ ببين كان يحذر من قيام عبد الرحمن في الاندلس، كما كان يحذر من البيزنطيين أعداء المنصور. وعاد الوفد بعد ثلاث سنوات يصحبه رسل من الخليفة ابي جعفر المنصور يحملون هدايا نفيسة إلى ببين القصير (الدورى، ٢٠٠٦: ١٠٢).

استقبل الفرنك رسل الخليفة بحفاوة وإكرام وقضى الوفد فصل الشتاء في مدينة متر وضرب لهم الملك ببين القصير موعداً لمقابلته في ١٠ نيسان ٧٦٨ في مدينة سيلس وفيها جرت مراسيم الزيارة وقدموا للملك الهدايا التي كانوا يحملونها إليه فسرّ بها كثيراً.

وبعد انتهاء مهمة الوفد أرسل معهم وفداً أوصلهم إلى مرسيليا، فنقلتهم سفينة إلى بلاد المشرق، ومهمة هذا الوفد وما دار بينه وبين الملك ببين لم يزل في طي الكتمان. على أننا لا نشك أن الوفود التي ارسلت من الجانبين كان باعثها الحروب التي كانت تدور بين البيزنطيين والعباسيين من جهة، وعدم ارتياح العباسيين من قيام الدولة الأموية من جهة أخرى، وأنّها أدت إلى صلات ودية بين العباسيين والفرنك الذين كانوا يحذرون ممن يحذر منهم العباسيون (الديوه جى، ١٣٨٤: ١٢٧-١٢٩).

خلف شارلمان الكبير، ببين القصير على عرش فرنسا، وعلاقته مع القسطنطينية غير حسنة على ما كانت عليه في عهد والده. وأراد البابا أن يستفيد من قوة شارلمان، فتوجّه سنة ٨٠٠م إمبراطوراً للدولة الرومانية المقدسة، ليقاوم به إمبراطورية البيزنطيين، الذين كانوا يرون أنّهم أحق من غيرهم بها. وكان البابا يسعى إلى توثيق صلاته بطارقة المشرق في بيت المقدس وأنطاكية والإسكندرية. وشاركهم في مقاومة عبادة الصور والتماثيل المقدسة التي كان يذهب إليها أهل القسطنطينية وهذا مما دفع شارلمان أن يتقرب إلى بطارقة المشرق إرضاء للبابا، وطمعاً أن يكون حامياً للمسيحيين في الديار المقدسة (اينهارد، ١٩٨٩: ١٠-١٣).

أصبح شارلمان في أوروبا أعظم ملوك زمانه إعترف له بذلك العدو والصديق فكان كما تقدم قد مهد دولة عظيمة فيها وأعاد مجد قياصرة الرومان وامتدت إمبراطوريته من البحر البلطيكى والبحور الشمالية شمالاً إلى شمال اسبانيا وأواسط إيطاليا جنوباً ومن الأتلاتيك غرباً إلى نهر اودر شرقاً. إلا أنّه كان مع ذلك دائم الفكر والقلق من هجوم أهل الإسلام عليه متخوفاً انحدار هذا السيل الجارف من العرب ثانية على مملكته واوربا برمتها من جهة الجنوب بعد أن صدّهم جدّه في المرة الأولى. فأخذ من جهة يحارب كما سلف الخلفاء الأمويين الذين جدّدوا الدولة الإسلامية في الأندلس ومن جهة أخرى يسعى في إحكام صلات المودة والإنفاق بينه وبين

عدوهم اللدود، هارون الرشيد، خليفة العباسيين، كما أن قياصرة القسطنطينية كانوا يتقربون في ذلك الوقت من الخلفاء الأمويين في قرطبة يستنصرونهم على العباسيين أعداء الجانبيين. ومن خلال الفتوحات الإسلامية في إفريقيا الشمالية وشرق المتوسط وإسبانيا في القرنين السابع والثامن، أزال المسلمون الهيمنة الرومانية على الخطوط البحرية فانزلت الإمبراطورية الغربية عن الإمبراطورية الشرقية، البيزنطية. وتلك التغييرات الجذرية أدت إلى عزل الميروفنجيين في شمال غربي أوروبا، وإلى صعود الكارولينجيين في أعقابهم في أواخر القرن الثامن، وإلى عزل إيطاليا حيث إضطر البابا إلى التحالف مع الكارولينجيين وتتويج ملكهم إمبراطوراً في عام ٨٠٠ م. ومن ناحية أخرى «لقد كان الكارولينجيون بحاجة للتجارة مع البلاد الإسلامية من أجل الفضة، لكنهم كانوا أيضاً بحاجة لإبقاء المسافة بين الإمبراطوريتين لأسباب دينية. لذلك لعب الفريزيون، الحديث العهد بالمسيحية، دور الوسيط بينهما» (شلق، ١٤١٨: ٢٦٦). فقد كانت الكنيسة في الإمبراطورية الكارولينجية تعارض الإسلام بشدة وترفض النقود الإسلامية التي تحمل نقوشاً عربية. لذلك كانوا يعمدون إلى إذابة هذه النقود وإعادة ضربها؛ لكن ذلك لم يمنع من تقليد شكل الدينار لدى الكارولينجيين وفي بريطانيا (المصدر نفسه). على أي حال كان شارلمان مضطراً للحفاظ على علاقات دبلوماسية مع بغداد، إذ كان لهما عدو مشترك هو الدولة الأموية في الأندلس. وكانت بين شارلمان وهارون الرشيد سفارات متبادلة. ولم يكن التبادل التجاري عبر الدنير والبلطيق قليل الأهمية؛ نظراً لتضائل تجارة المتوسط (المصدر نفسه: ٢٦٧). وملخص القول إن السياسة والتجارة لعبت دوراً مهماً في إنشاء العلاقات بين الطرفين.

وجدير بالذكر أنه ليس من شك في أن هارون الرشيد وشارل الكبير، هما رجلا العالم في أخريات القرن الثامن الميلادي وبداية القرن التاسع. فالرشيد يمثل الشرق بمدنيته المزدهرة طوال أيام حياته وعظمته التي بلغت أوجها، وشارلمان الكبير، يمثل الغرب، الآخذ إذ ذاك في الاستقرار على أثر نزوح القبائل الجرمانية من مجالاتها في أوروبا الوسطى إلى أملاك الدولة الرومانية الغربية، والآخذ بتلك الأسباب التي جعلت منه في النهاية باعث دول أوروبا الوسطى والغربية الحديثة بأوضاعها السياسية والاجتماعية والثقافية المعروفة وليس من شك في أن كلا العاهلين العظيمين (الرشيد وشارلمان) قد سمع بالآخر على أقل تقدير. فقد كانت بغداد منتجع السياح والتجار الوافدين إليها من مختلف أقطار الأرض، وكان لا يخلو الأمر من أن يجرى على لسان هؤلاء الوافدين في أسواقها وأنديتها وبلاطها ذكر العاهل الفرنجي الكبير. وكانت مدينة آخن هي كذلك مقصد السياح والتجار واللجئيين السياسيين الواردين من الشرق ومن قسطنطينية ورومية والأندلس فكان لا يخلو الأمر من أن يتحدث هؤلاء وهو بعاصمة الدولة الفرنجية عن الحروب

الناشبة بين البيزنطية والعباسيين وعن أخبار الأمويين المتغلبين على الجزيرة الإسبانية. وعن النصر القاطع الذي أحرزه الرشيد على الجيوش البيزنطية في هضاب آسيا الصغرى وأوديتها وسهولها. كل ذلك كان من شأنه أن ينقل إلى كلا العاهلين عن الآخر صورة مبهمة غامضة.

وهارون الرشيد في نزاع مستمر مع البيزنطيين وقد أذلهم واضطرت ملكتهم إيريني أن تدفع إليه جزية سنوية على أن توقف هجماتها عن بلاد الأناضول، كما كانت تترقب حوادث الأمويين في الأندلس بحذر، وكان شارلمان نفسه يحرض الثوار الأندلسيين على التمرد ضد عبد الرحمن الداخل، وأرسل حملة لمساعدتهم فرجعوا عنها خائبين.

كل هذه الأمور ساعدت على إستئناف الصلات بين الخليفة هارون الرشيد وشارلمان الكبير. وكان لبطيرك القدس يد فعالة في هذه الصلات، وكان شارلمان هو البادىء في كل منها بالاستسفار، ولم يزد الرشيد على أن يرّد السفارة، بسفارة وعلى الهدية، بهدية مثلها.

على أي حال، في أواخر سنة ٧٩٧ م أرسل شارلمان وفداً مؤلفاً من سفيرين وفرنجين يقال لأحدهما «سجسمند» وللآخر «لنشفرد» ومعهما ترجمان يهودى يجيد العربية اسمه إسحق فوصل القدس وقابل بطيرك القدس وأبلغه ما أرسل به إليه. ثم واصل الوفد سفره إلى بغداد للاتصال بالخليفة هارون الرشيد. وكانت السفارات طويلة الأمد لبعث ما بين المشرق والمغرب وصعوبة الانتقال بينهما في ذلك الزمان: فالسفارة الأولى إستغرقت ما بين عامى ٧٩٧ و ٨٠١ م (غنيمة، ١٣٣٩: ٥١٢). وتقول المصادر الفرنجية المتقدمة الذكر، أن الوفد عاد من بغداد يحمل موافقة الرشيد على ما طلب شارلمان، وأن سجسمند ولنشفرد توفيا أثناء العودة، فعاد اليهودى وحده. على أن الرشيد لم يكتف بصرف وفد شارلمان مكرماً بل ردّ على السفارة، بسفارة مثلها، فأوفد إلى شارلمان سفيرين أحدهما «ابراهيم بن الاغلب» الذى صار إليه أمر إفريقية، وبعث معهما إلى شارلمان بهدية تليق بمقام المهدي والمهدي اليه، فيها أعطار وتحف شرقية نفيسة وفيها ساعة مائية دقاقة وفيل عظيم الخلق يكنى بأبى العباس. وتقول المصادر الفرنجية القبر المقدس ومفاتيح مدينة أورشليم نفسها (اينهارد، ١٩٨٩: ١٣). وإعتبرت المصادر ذلك بمنزلة نقل للسلطة على بيت المقدس وحمانيته الى العاهل الفرنجى.

ولا نعلم شيئاً مما دار بين الوفد والخليفة فكان هذا يسوده الكتمان وكل ما نعلمه أن الوفد بقى في بغداد مدة شهر ثم استقبله الخليفة. وأن هارون الرشيد أرسل وفداً إلى شارلمان سنة ٨٠١ م وعلى رأس الوفد شخصان أحدهما فارسى، خرج من بغداد بأمر الخليفة، والآخر من إفريقية من قبل ابراهيم بن الاغلب أمير القيروان، وأمر شارلمان أن يستقبل هذا الوفد الذى مثل بين يديه في تموز سنة ٨٠٢ م فى اكس لاشابل وأخبراه بأن الكونتين قد توفيا وأن إسحاق فى

طريقه إلى فرنسا. وقدموا لشارلمان الساعة المائية الدقاقة ورقعة شطرنج من العاج وفيلا اسمه عبد الله وهدايا أخرى.

ويظهر أن هذه الصلات لم تنقطع بل كانت متواصلة بين الطرفين. وفي سنة ٨٠٢ م أرسل شارلمان وفداً آخر إلى الخليفة هارون الرشيد، وكان أحد أعضاء الوفد اسمه «رادبرت»، وإنه مضى إلى الأراضى المقدسة وقابل بطريك القدس، ثم توجه إلى بغداد وقابل الخليفة الرشيد وعاد سنة ٨٠٦ إلى أوروبا.

وبعد وصول هذا الوفد إلى الرشيد أرسل وفداً مؤلفاً من ثلاثة أشخاص: راهبين وشخص آخر اسمه عبد الله. فوصلوا لشارلمان في سنة ٨٠٧ م وحملوا إليه هدايا جميلة من تحف الشرق منها صيوان ملون بألوان متنوعة ومنسوجات من الحرير والكتان. وروائح عطرية وبلسم و ساعة مائية وأواني نحاسية كبيرة، وأقسام السفراء الثلاثة مدة عند الإمبراطور، ثم أرسلوا إلى إيطاليا فابحروا منها إلى المشرق. ثم تنقطع عنا أخبار هذه السفارات ولا نعلم سبباً لهذا. وتختلف المصادر في كيفية السفارة.

وفي سنة ٨٠٧ م / ١٩٢ هـ توفي الرشيد وتوفي شارلمان بعد ذلك بسبع سنين أي سنة ٨١٤ م. ودامت هذه الصلات الودية في عهد لويس إلتقى فقد كان بينه وبين الخليفة المأمون سفارة أرسلها إليه سنة ٨٣١ للميلاد.

فشارلمان لم يتقرب إلى الرشيد ولم يلبّ هذا طلبه ويبادل الصداقة والمودة إلا إذا اقتضت مصالحهما السياسية التي كان محورها الأمور الآتية حسب ما ذكرها الدوري (الدوري، ٢٠٠٦: ١٥٦) و الآخرون:

١. أن يعهد الرشيد إلى شارلمان بالقيام على المصالح العباسية فيما يغلب عليه شارلمان من أرض الأندلس، وأن يشدّ شارلمان أزر الحزب القائم بالدعوة العباسية في تلك البلاد التي اقتطعها بنو أمية عن ملك بنو العباس؛

٢. أن يعقد بين العاهلين حلف وتعاون من شأنه أن يطلق يد شارلمان في ملك بنو أمية بالأندلس ويطلق يد الرشيد في ملك الدولة البيزنطية بالمشرق. لأنّ كلّاً من البيزنطيين والأمويين في الأندلس أعداء لشارلمان وهارون الرشيد، ولذلك قربت هذه العداوة بين هارون الرشيد وشارلمان؛

٣. أن يسهل الرشيد لزوار بيت المقدس وحججه من الفرنجة وأتباع الكنيسة الكاثوليكية سبيل زيارته وحججه، وأن يعفيهم من القيود والتكاليف التي وضعها الرشيد إذ ذاك على أهل الذمة، وأن يحمي أولئك الزوّار والحجاج من عدوان الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية؛

٤. إرادة الرشيد في إضعاف هذه الدولة الخارجة على دولته والهاربة من وجه عائلته حتى يتسنى له ضم الأندلس إلى مملكته الواسعة الأطراف؛
٥. آمال شارلمان التي كانت منصرفة إلى إسقاط دولة القيصر في القسطنطينية أو على الأقل جعل دولته متقدمة عليها في أوروبا. ولذلك سرَّ كلَّ السرور بالفوز العظيم الذي ناله هارون الرشيد في حروبه في ذلك الوقت مع عدوه قيصر الروم؛
٦. رغبة الرشيد أيضاً في إضعاف دولة القيصر، هذا بالإتفاق مع شارلمان أكبر ملك مسيحي في ذلك الوقت فيجمل أوروبا من جهته؛
٧. رغبة شارلمان وسعيه في حماية المسيحيين الموجودين في الشرق الإسلامي تحت حكم الرشيد. فإنه كان قد طلب من شارلمان أن يحثَّ المسيحيين على زيارة بيت المقدس، ولذا كانت الوفود تصل الخليفة عن طريق بطريق القدس.

٥.٢ نتائج العلاقات بين الحضارتين

كانت نتيجة الإحتكاك و التواصل بين شارلمان والرشيد بالوفود والسفارات ونتيجة إحتكاك الإفرنج بالعرب في جنوب فرنسا وإسبانيا أن سعى شارلمان بكلِّ ما في وسعه لإصلاح وتجديد قوانين دولته وشرائعها وأصولها مقلداً هارون الرشيد وخلفاء الأندلس في نشر لواء العلوم والمعارف. وبذل في ترويج سوقها في أوروبا جهداً عظيماً. لكنه مع ما بذله من ذلك كان يرى فرقاً كبيراً وبوناً عظيماً بين مملكته ومملكة العرب من حيث العلم والمدنية. لأنَّ العلم في أوروبا كان محصوراً في الاديار قاصراً على المواضيع الدينية بما دخلها من المبالغات والخرافات. وإقتصر أصحاب العقول والقرائح على الجدل والمناقشة وأكثر معولهم على الألفاظ. فإقتدى شارلمان بصديقه ومعاصره فقربَّ إليه الشعراء والعلماء وأكبرهم «الكوين» الشاعر العالم وأكثر من نبغ في أوروبا في ذلك العصر وما يليه من تلاميذه. فأحدث نهضة حسنة في العلم والأدب وكان الكوين ممن تلقى العلم عن العرب. إذ كثير من الإفرنج تلقوا العلم في مدارسهم. فعمد شارلمان إلى بثِّ روح الإصلاح على يد مجمع علمي رئيسه الكوين هذا.

فأدخلوا في مدارس الأديرة وغيرها علوماً ترقى العقل كالتى تلقى في بلاد المسلمين. لكنها لم تنمر لأنَّ الأمة لم تكن مستعدة لهذه الفروع العالية فأتتها قبل أوانها والشعب جاهل مقصر حتى في مبادئ العلم الأولية. فكأنما جاء شارلمان يطلب إصلاحهم قبل الوقت اللازم فذهب سعيه عبثاً. فلما مات، عادت الأحوال إلى ما كانت عليه وظلت أوروبا في ظلمات الجهلة حتى عصر فردريك والحروب الصليبية. فإنَّ فردريك الثانى لما أفضت إليه للملكة وكان قد تتقف على

أيدى أساتذة من العرب شبَّ على إحترام العرب وآدابهم فقربهم إليه وأحسن معاملتهم فخدموه خدماً جزيلاً في السياسة والحرب والقضاء ولما أراد إصلاح مملكته كانوا ساعده اليمين في نشر نور العرفان ومعاهد العلم والجامعات في أوروبا التي يرجع إليه فضل السبق في تاسيسها وإقبال الأمم الإفريقية عليها ولم يزل كذلك متحدياً وسائل الرقي وضروب الإصلاح حتى مات سنة ١٢٥٠ في فيورتنو قرب لوسيرا بين أعوانه وأصدقائه وفيهم الأطباء والعلماء من المسلمين واليهود وغيرهم. وقد ذهب بولين، إلى أن إصلاحات شارلمان النقدية تأسست على النموذج الإسلامي، كما استنتج أنه كانت هناك تجارة إسلامية ناشطة في بحر الشمال في أيام الكاروليينجيين (شلق، ١٤١٨: ٢٥٥). دعم شارلمان وابنه لويس النهضة الكارولينية ودفعها تكاليفها من ممتلكاتها.

٣. النتيجة

التنتائج التي توصلنا عبر هذا البحث فيما يلي:

١. جرت العلاقات الودية بين الشرق والغرب في أواخر القرن الثامن للميلاد وفي أوائل القرن التاسع وأول وفد أتى من فرنسا الى العراق أرسله بيبين القصير سنة ٧٦٢ م أو سنة ١٤٦-١٤٧ هجرية في عهد أبي جعفر المنصور.
٢. كان التفاهم الذي توّطد بين العباسيين والفرنجية من أهم الأسباب التي حالت بين البيزنطيين وبين مواصلة العدوان بخوفهم من تعاون الطرفين عليهم و الذي لم يخفف بوفاة الرشيد بل ظلت أواصره معقودة حتى أوائل عصر المأمون.
٣. من الباحثين من يعتقدون أن هنالك علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان، ومن ينكرون وجود أية علاقات بينهما وهم يعتقدون أن هذه العلاقات التي نسبت اليهما ليست إلا خرافات إخترعها عقول الرهبان والمؤرخين في القرون الوسطى تعظيماً لشارمان. أما الذين يعتقدون بأن الصلات السياسية موجودة بين هذين الأميرين يقولون إن كلي الأميرين يحتاجان إلى علاقات سياسية. وليس التقرب والصداقة والمودة بينهما إلا عملاً بما تتطلبه مصالحهما السياسية. هذه الامور وعوامل أخرى ساعدت على استئناف الصلات بين الخليفة هارون الرشيد وشارلمان الكبير.
٤. هارون الرشيد وشارل الكبير هما رجلا العالم في أخريات القرن الثامن الميلادي وبداية القرن التاسع. فالرشيد يمثل الشرق بمدنيته المزدهرة أيامئذ وعظمته التي بلغت أوجها، وشارلمان الكبير، يمثل الغرب الآخذ إذ ذاك في الاستقرار على أثر نزوح القبائل الجرمانية من مجالاتها في أوروبا الوسطى الى أملاك الدولة الرومانية الغربية، والآخذ بتلك الأسباب التي جعلت منه في

النهاية باعث دول أوروبا الوسطى والغربية الحديثة بأوضاعها السياسية والاجتماعية والثقافية المعروفة وليس من شك في أن كلا العاهلين العظيمين قد سمع بالآخر على أقل تقدير.

٥. كانت نتيجة الإحتكاك والتواصل بين شارلمان والرشيد بالوفود والسفارات ونتيجة إحتكاك الإفرنج بالعرب في جنوب فرنسا وإسبانيا أن سعى شارلمان بكل ما فى وسعه لإصلاح وتجديد قوانين دولته وشرائعها وأصولها مقلداً هارون الرشيد وخلفاء الأندلس فى نشر لواء العلوم والمعارف.

المصادر

- ابوخليل، شوقى (١٩٩٩). هارون الرشيد امير الخلفاء و أجل ملوك الدنيا، دمشق: دار الفكر.
- أحمد محمود، حسن وآخرين (١٩٨٠). العالم الاسلامى فى العصر العباسى، القاهرة: دار الفكر.
- ابنهارد (١٩٨٩). سيرة شارلمان، ترجم و قدم له و علق عليه عادل زيتون، دمشق: دار حسان.
- بلا اسم (١٣١٥ هـ). «باب أشهر الحوادث و أعظم الرجال: الإمبراطور شارلمان (ملك فرنسا و مؤسس مملكة جرمانيا)»، الهلال، العدد ١٩.
- البلادى، ابو الحسن (١٤٠٣). فتوح البلدان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الدايه، زهدى (١٣٥٠ هـ). «هارون الرشيد و شارلمان»، مجلة الهلال، السنة ٤٠، العدد ٦.
- الدورى، عبدالعزيز (٢٠٠٦). العصر العباسى الاول، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الديوه جى، سعيد (١٣٨٤ هـ)، «رسل الدول إلى دارالسلام: الصلات بين العباسيين و الفرنك»، الاقلام، السنة ١، الجزء ١.
- سيد صبره، عفاف (١٩٨٢). الامبراطوريتان البيزنطية و الرومانية الغربية زمن شارلمان، بيروت: دار النهضة العربية.
- شلق، الفضل (١٤١٨). «محمد و شارلمان و أصول أوروبا: عرض و متابعة»، الاجتهاد، العدد ٣٦.
- الطبرى (د.ت). تاريخ الرسل و الملوك، القاهرة: الحسينية.
- عبدالعزيز فرج، وسام (١٩٨٢). دراسات فى تاريخ و حضارة الإمبراطورية البيزنطية، الاسكندرية.
- عبدالله عنان، محمد (١٩٦٠). دولة الاسلام فى الاندلس، القاهرة، لجنة التأليف و الترجمة و النشر.
- غنيمه، يوسف (١٣٣٩). «الخلافة العباسية و الدولة الفرنسية»، مجلة الهلال، السنة ٢٩، الجزء ٥.
- لويس، أرشيبيلد (١٩٦٠). القوى البحرية و التجارية فى حوض البحر المتوسط، القاهرة.
- المقريزى، احمد بن على (٢٠٠٢). المواعظ و الاعتبار فى ذكر الخطوط و الاثار، حققها و كتب مقدمها و وضع فهرسها /يمن فواد سيد، لندن: موسسه الفرقان للتراث الاسلامى.